فضل الاعتكاف

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل الاعتكاف

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

فضل الاعتكاف

١- الاعتكاف تنفيذ لسنة النبي ﷺ.

٢- الاعتكاف يورث حب المكوث في المسجد.

٣- الاعتكاف فرصة عظيمة لاغتنام والتماس ليلة القدر.

٤- الاعتكاف يخلص القلب من سمومه الخمس.

٥- الاعتكاف سبب لاكتساب الأخلاق الحسنة.

٦- الاعتكاف يعلم الإنسان الاستغلال الأمثل للوقت مع التعوُّد على النظام.

٧- الاعتكاف سبب لحفظ الصيام مما يفسده.

٨- الاعتكاف للتدريب والمداومة على قيام الليل.

٩- الاعتكاف سبب للوصول إلى البراءتين.

١٠- الاعتكاف سبب لرفع درجة الصلاة وقبولها.

١١- الاعتكاف سبب لمحو الخطايا ورفع الدرجات ونِيَّة الرباط.

١٢- الاعتكاف يعمل على تهذيب النفس ومحاسبتها.

فضل الاعتكاف:

في الاعتكاف تفطم النفس عن شهواتها، ويخلو العبدُ بالله ﷻ، وتُحقق عبودية التبتُّل، ويُحصل المقصود الأعظم منه بعكوف القلب على الله تعالى. **يقول عطاء الخرساني-رحمه الله-**: مثل المعتكف؛ كمثل عبد ألقى نفسه بين يدي ربه ثم قال: يارب! لا أبرح حتى تغفر لي، لا أبرح حتى ترحمني.

والاعتكاف أحبتي في الله له منافع عديدة، وفضائل عظيمة منها:

١- الاعتكاف تنفيذ لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- والاقتداء به:

وأَكْرِم بها من عبادة وقربة، ففي تنفيذ سنة النبي ﷺ الأجر الكبير، والفوز العظيم.

وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: **" كان رسول الله يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين ".**

وفي رواية: **" أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى قبضه الله ".**

ويقول ابن عمر-رضي الله عنهما **- أن النبي ﷺ كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان ".**

وتقول عائشة-رضي الله عنها- **" أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله"**

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه: **" أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان فسافر عامًا، فلما كان من العام المقبل اعتكف عشرين يومًا ".** (صحيح سنن ابن ماجه)

قال ابن بطال-رحمه الله-:" فهذا يدل على أن الاعتكاف من السنن المؤكدة، لأنه مما واظب عليه النبي ﷺ فينبغي للمؤمنين الاقتداء في ذلك بنبيهم، وذكر ابن المنذر عن أبي شهاب أنه كان يقول: عجبًا للمسلمين تركوا الاعتكاف، وإن النبي ﷺ لم يتركه منذ دخل المدينة كل عام في العشر الأواخر حتى قبضه الله ". اهـ. (شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٨١/٤)

وقال الزهري-رحمه الله-:" عجبًا من الناس كيف تركوا الاعتكاف؟ ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه، وما ترك الاعتكاف حتى قُبِض ". (المبسوط: ١١٤/٣) (عمدة القاري: ١٢ / ١٤٠٢)

٢- الاعتكاف يورث حب المكوث في المسجد:

وحب المكوث في المسجد فيه الخير الوفير، فبعد أن جلس الإنسان عشرة أيام في بيت من بيوت الله لماذا لا يسأل الله تعالى أن يرزقه حب المكث بالمسجد؟ ***وقد قال رسول الله ﷺ:*** **" سبعة يظلهم الله في ظلِّه يوم لا ظل إلا ظله... ورجلٌ قلبُه معلق في المساجد ".** (متفق عليه)

قال النووي-رحمه الله- في "شرح مسلم": **" ورجل قلبه معلق في المساجد ".** معناه: شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها، وليس معناه دوام القعود في المسجد. اهـ.

٣- الاعتكاف فرصة عظيمة لاغتنام والتماس ليلة القدر:

فكان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر كما في حديث ابن عمر-رضى الله عنهما- السابق؛ التماسًا لليلة القدر، والتي قال عنها رب العالمين في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ١-٣)

يقول القاضي عياض-رحمه الله- في حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- السابق: " وفيه استحباب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان لمواظبة النبي ﷺ على ذلك لقوله: "**كان يعتكف**" وأكثر ما يستعمل هذا فيما كان يداوم عليه، مع ما دلت عليه نصوص الآثار من تكراره، ولأن ليلة القدر مطلوبة في تلك العشر ". اهـ.

فأقرب الناس إلى هذه الليلة هم المعتكفون، فنهارهم صيام، وليلهم قيام، وحالهم خشوع، وذكرهم دموع، وقلوبهم خضوع، مستغفرون بالأسحار ينتظرون رضا الرحمن.

٤- الاعتكاف يخلص القلب من سمومه الخمس: *(فضول النوم-الأكل-الاختلاط -النظر-الكلام):*

ولو تحقق ذلك لصلح قلبك، ولو صلح قلبك لصلح كلك، ***قال*** ﷺ: " **ألا وإنَّ في الجسد مضغةً إذا صلُحَت صَلُحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسدُ كلُّه إلا وهي القلب** ". (متفق عليه)

يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في " زاد المعاد: ٢/٨٧": ومقصود الاعتكاف وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيَّتُه عليه، والخلوةُ به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولى عليه بدلها، ويصير الهمُّ كُلُّه به، والخطرات كلُّها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه، وما يُقَرِّب منه، فيصير أنسه بالله بدلًا من أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرحُ به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم. اهـ.

وقال ابن رجب -رحمه الله- كما في" لطائف المعارف ص٢٧٣":"وإنما كان يعتكف النبي ﷺ في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعًا لأشغاله، وتفريغًا لباله، وتخليًا لمناجاة ربه وذكره ودعائه. وكان يحتجر حصيرًا يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم حتى يتم أنسه بالله. ومعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له، والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال، وكان بعضهم لايزال منفردًا في بيته خاليًا بربه فقيل له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو القائل: أنا جليس من ذكرني". اهـ.

٥- الاعتكاف سبب لاكتساب الأخلاق الحسنة:

ففي الاعتكاف من الممكن أن يتعلم الإنسان الكثير من الأخلاق الحسنة التي من الصعب تعلمها خارجه. **ومن هذه الأخلاق:** خلق الزهد في الدنيا، والرضا عن الله، والصبر، والمجاهدة، تتعلم هذه الأخلاق وغيرها من خلال مكثك في المسجد.

٦- الاعتكاف يعلم الإنسان الاستغلال الأمثل للوقت مع التعوُّد على النظام:

فالواحد منا في الاعتكاف يسير وفق نظام معين موضوع في المسجد خاص بـ (النوم- الأكل- الحديث...إلخ) يجب الالتزام به؛ مما يساعده على اكتساب النظام والمحافظة على وقته لأبعد الحدود.

فخذ العزم الأكيد والنِيَّة على أن يكون الاعتكاف بداية طريق للحصول على البرآتين.

٧- الاعتكاف سبب لحفظ الصيام مما يفسده:

ولم لا؟ فالمعتكف بوجوده في أطهر بقاع الأرض: المساجد يأخذ هذه النية بأن يعمل جاهدًا على الحافظ على صيامه مما يفسده.

٨- الاعتكاف للتدريب والمداومة على قيام الليل:

فالاعتكاف فرصة عظيمة لحب قيام الليل والمداومة عليه من خلال صلاة التراويح كل ليلة، إضافة إلى صلاة التهجُّد، ولو قمت الليل وخرجت من شهر رمضان محبًا لقيام الليل، لكفي به فضل ويساعدك على هذا الاعتكاف.

وهناك نيَّات أخرى من الممكن استحضارها عند الاعتكاف ذكرها الشيخ أبو حامد الغزالي-رحمه الله- منها: " الخلوة ودفع الشواغل للزوم السر والفكر في الآخرة وكيفية الاستعداد لها، وأن يعتقد أنه بيت الله ﷻ وأن داخله زائر الله تعالى فينوى ذلك، ***قال رسول الله ﷺ:*** **" مَن قعد في المسجد فقد زار اللهَ تعالى، وحق على المزور إكرام زائره ".** **(رواه الطبراني في الكبير وأحد أسانيده رجاله رجال الصحيح)**

والتجرد للذكر وإسماعه واستماعه، وأن يقصد إفادة علم وتنبيه من يسيء الصلاة، ونهيٍ عن منكر وأمر بمعروف؛ حتى ينتشر بسببه خيرات كثيرة؛ ويكون شريكًا فيها، وأن يترك الذنوب حياء من الله ﷻ بأن يحسن نيته في نفسه في قوله وعمله، حتى يستحى منه من رآه أن يقارف ذنبًا، وقس على هذا سائر الأعمال، **ثم قال:** فباجتماع هذه النِيَّات تزكى الأعمال وتلتحق بأعمال المقربين، كما أنه بنقصها تلتحق بأعمال الشياطين، كمن يقصد من القعود في المسجد التحدث بالباطل، والتفكُّه بأعراض الناس، ومجالسة إخوان اللهو واللعب، وملاحظة مَن يجتاز به من النسوان والصبيان، ومناظرة من ينازعه من الأقران على سبيل المباهاة والمراءة باقتناص قلوب المستمعين لكلامه وما يجرى مجراه ". اهـ.

٩- الاعتكاف سبب للوصول إلى البراءتين:

من خلال وجود المعتكف في المسجد لمدة عشرة أيام لن يجد فرصة أفضل من ذلك في بداية الوصول إلى البرآتين، اللتين أخبر عنهما المصطفي ﷺ **بقوله:** " **مَن صلَّى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى؛ كُتِبَ له برآتان: براءة من النار وبراءة من النفاق** ". (رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع:٦٣٦٥)

١٠- الاعتكاف سبب لرفع درجة الصلاة وقبولها:

هذه تكاد تكون غائبة عن السواد الأعظم من الذين يَمُنُّ الله عليهم بالاعتكاف، رغم أن المعتكف من الممكن أن يستحضر هذه النِيَّة، ***فقد قال*** ﷺ: " **وصلاة على إثر صلاة كتاب في عليين** ".

(صحيح الجامع:٣٨٣٧)

" **وصلاة على إثر صلاة** ": أي عقيبها، لا لغو بينهما: أي بكلام الدنيا، كتاب: أي عمل مكتوب، في عليين: فيه إشارة إلى رفع درجتها وقبولها.

قال علىّ القاري -رحمه الله- كما في "عون المعبود في شرح سنن أبي داود": " وهو علم لديوان الخير الذي دُوّن فيه أعمال الأبرار.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾

(المطففين:١٨-٢١)

أي: مداومة الصلاة من غير تخلل ما ينافيها لا شيء من الأعمال أعلى منها فكُنِّى عن ذلك بعليين.

١١- الاعتكاف سبب لمحو الخطايا، ورفع الدرجات، ونيَّة الرباط:

مع بقاء المعتكف في المسجد طوال الاعتكاف من الممكن أن يزيد أجره باستحضار هذه النِيَّات، نعم بفضل الله من الممكن استحضار تلك النِيَّات، ***وقد جمعها حديث النبي*** ﷺ ***قال:***

" **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط** ". (رواه مسلم)

وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)

قيل في معناها: انتظروا الصلاة بعد الصلاة. (هكذا قال ابن عباس-رضي الله عنها-)

وقيل: اصبروا على أداء الفرائض، واجتناب المعاصي.

وقيل في "تفسير الجلالين": " اصبروا على الطاعات، والمصائب، وعن المعاصي ".

12- الاعتكاف يعمل على تهذيب النفس ومحاسبتها:

إن الاعتكاف وسيلة من وسائل التربية النبوية التي أرشدنا إليها المصطفي ﷺ حيث أنه عنصر تهذيب ظاهر ويظهر ذلك في الآتي:

أ- ففي الاعتكاف خروج من دائرة الحياة اليومية وتأثيرها الكبير على النفس وانشغالها ودورانها في حركة لا تتوقف من أجل تحصيل مصالح الدنيا ومنافع العيش، مما يجعلها تغفل عن المحاسبة والمراجعة والتعديل والإصلاح، لذا كان في الاعتكاف فرصةٌ ذهبيةٌ لأن يراجع كل مسلم حياته فيرى نقاط الإجادة ونقاط التقصير والإهمال فيزيد من الأول وينقص من الآخر ما وسعه الجهد والطاقة.

ب- في الاعتكاف عزلة محمودة تتيح للإنسان أن يخلو بنفسه وأن يحادثها عن أمانيه وأحلامه الماضية التي لم تتحقق كما يخبرها عن آماله في المستقبل، ويدرس ذلك بتأن وتؤده، ويختار ما يستطيع أن يحققه، فيستدرك ما قد يكون فاته، ويعزم على ألا يفوته في المستقبل أن يرى آماله قد حققت في أرض الواقع.

جـ- وفي الاعتكاف انشغال بما هو أهم وأجدى وأنفع للإنسان من قراءة القرآن وذكر الله وصلاة وقراءة عن أعلام الصحابة والسلف الصالح، وفي ذلك تعويد له لأن يكون ذلك عادة حياته وفي مختلف مراحلها، فيترك التوافه والصغائر والأمور غير ذي الجدوى أو ذات الجدوى القليلة، التي بتركها لا يكون هناك تأثير ملحوظ على مسيرة الإنسان في هذه الحياة.

د- والأهم مما سبق؛ أن المعتكف يعتكف على طاعة الله ويقيم عليها مدة اعتكافه، فهو يعتكف في أحب الأماكن إليه سبحانه (المساجد)، ويقيم فيها على الطاعة والعبادة والابتهال والخضوع والخشوع، فلا يكون همه إلا الله ولا مقصوده إلا إياه سبحانه، ولا مراده سواه عز وجل، وبحيث يخرج من الاعتكاف وقد اعتكف قلبه على طاعة الله فحسب، لا ينظر ولا يقصد ولا يبتغي أحدًا سواه، فيكون منيبًا إليه سبحانه ".

(انظر موسوعة كنوز رياض الصالحين:٣٤٧/١٥)

يقول ابن القيم -رحمه الله-كما في كتابه" الفوائد ص١٩٦":

الإنابة هي عكوف القلب على الله ﷻ، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة كما قال إمام الحنفاء لقومه **(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ)** (الأنبياء: ٥٢)، فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل وكان حظه العكوف علي الرب الجليل.

والتماثيل جمع تمثال، وهو الصورة الممثلة، فتعلق القلب بغير الله واشتغاله به، والركون إليه عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام، ولهذا كان شرك عباد الأصنام بالعكوف بقلوبهم وهممهم وإرادتهم على تماثيلهم.

فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته، بحيث يكون عاكفًا عليها فهو نظير عكوف الأصنام عليها، ولهذا سماه النبي ﷺ عبدًا لها، ودعا عليه بالتعس والنكس، ***كما جاء في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله:*** " **تَعِسَ عبدُ الدينار تَعِسَ عبدُ الدرهم، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش** ". **(عظيم الأجر في اغتنام العشر للدكتور أحمد عرفه ص ١٢٠، ١٢١)**

فحقيقة الاعتكاف والمقصد منه: لَمّ شعث القلب بالإقبال على الله تعالى، وذلك بالانقطاع التام إلى العبادة، وعملًا على حفظ الصيام من كل ما يؤثر عليه من حظوظ النفس والشهوات، والتقلُّل من المباح من الأمور الدنيوية، والتخلُّص من خِصال الترف، والحماية من آثار فضول الصحبة، فإن الصحبة قد تزيد على حد الاعتدال، فيصير شأنها شأن التخمة بالطعام، وأيضًا حماية القلب من جرائر فضول الكلام... وغير ذلك من الأمور التي تفسد القلب وتمرضه، بل ربما تقضي عليه، فالاعتكاف مشفى هذه الأمراض، يخرج الإنسان من معتكفه معافى سليم القلب، وذلك إذا علم معنى الاعتكاف، وقام على تحقيق هذا المعنى.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك